التعليم القائم على الكفايات الإتقان مقابل الوقت

هنوف محمد العناز

يقول وزير التعليم الأمريكي آرني دنكان " إن الممارسة القائمة منذ قرن في منح الشهادات بناءً على وقت الجلوس في الفصل الدراسي، بدلًا من الكفاءة المثبتة، تتعارض الآن مع عالم تُقدم فيه الإنترنت فرصًا دائمة للتعلم واكتساب المهارات وفقًا لسرعتك الخاصة"

لقد شهد التعليم القائم على الكفايات Competency-Based Education خلال الأعوام الماضية، زخمًا ملحوظًا. حين قامت معظم الولايات الأمريكية بمراجعة سياستها التعليمية نحو سياسات قائمة على الكفاءة يربط إتقان المحتوى بتقدم المتعلمين والابتعاد عن نظام وحدة كارنجي (الاعتماد حسب الساعات). كما نهجت دول عدة نحو التعلم القائم على الكفايات CBE لإضفاء طابع ذاتي للتعلم ما يسمح للمتعلمين بالتحرك بوتيرتهم الخاصة عند اكتسابهم المهارات الأكاديمية التي سيحتاجونها للنجاح وتحقيق التنافسية العالمية، مما زاد من شعبيته لدى المتعلمين في مرحلة ما بعد الثانوية. وأحدث نظام التعليم القائم على الكفايات نقلة في التعليم، من التركيز الأكاديمي (ما يحتاج الخريجون إلى معرفته من وجهة نظر الأكاديمي) إلى التركيز في مكان العمل (ما يحتاج الخريجون إلى معرفته والقيام به في مجموعة متنوعة من مواقف العمل المعقدة)، مما أدى إلى إنشاء صلة مباشرة بين التعليم ومكان العمل (Garfolo & L'Huillier, 2016)، وبالتالي ساهم من قدرة أصحاب العمل على فهم كفاءات الخريجين وإنجازاتهم في التعلم.

وساهمت التقنيات الحديثة في تيسير تطبيق نظام التعليم القائم على الكفايات CBE من خلال الاستفادة من الأدوات والاستراتيجيات التعليمية كالتعليم المدمج والإلكتروني ونظام الجمع بين المراحل (مركز التميز في التعلم والتعليم،2018).

وساهم التصميم التعليمي المبني على الكفاءة في تحسين مستوى الدافعية والمشاركة الفعّالة لدى الطلاب؛ لأن المحتوى وأسلوب التعلم والتقييم وثيق الصلة بكل طالب ومصمم وفقًا لاحتياجاتهم الفريدة وارتباط الإتقان بسرعتهم الخاصة بالتعلم، وبالتالي الحصول على نتائج تعليمية أفضل.

ونتيجة لذلك أصبح دور المعلم في التعليم القائم على الكفايات استشاري للمعلومات، ومطورًا للمنهاج ومرشدًا أكاديميًا ومصمم ومخطط للأهداف، وهو ما يتوافق مع التوجهات الحديثة لدور المعلم.

وتوصف ممارسة الطلاب الذين يتقدمون وفق كفاءتهم في التعليم بمسميات عدة: التعليم على أساس المعايير، أو على أساس الإتقان، أو على أساس الأداء، أو على أساس الكفاءة. أو على أساس النتائج. في هذا المقال سيستخدم مصطلح "التعليم القائم على الكفايات" و"التعليم القائم على الكفاءة" بالتبادل.

التعليم القائم على الكفايات Competency-Based Education

وفقًا لمسرد إصلاح التعليم (The Glossary of Education Reform ,2016) يشير التعلم القائم على الكفايات إلى أنظمة التعليم والتقييم والاعتمادات الأكاديمية التي تستند إلى الطلاب الذين يثبتون أنهم تعلموا المعرفة والمهارات التي يتوقع منهم تعلمها أثناء تقدمهم في تعليمهم. وتستخدم الأنظمة القائمة على الكفاءة معايير التعلم الحكومية لتحديد التوقعات الأكاديمية وتحديد الكفاءة في دورة أو مجال أو موضوع أو مستوى معين.

الهدف العام من التعليم القائم على الكفايات هو التأكد من أن الطلاب يكتسبون المعرفة والمهارات التي تعتبر ضرورية للنجاح في المدرسة والتعليم العالي والمهن والحياة المستقبلية. وإذا فشل الطلاب في تلبية معايير التعلم المتوقعة، فإنهم يتلقون عادةً المزيد من التعليمات ووقت التدريب والدعم الأكاديمي لمساعدتهم على تحقيق الكفاءة أو تلبية المعايير المتوقعة. وبحسب وزارة التعليم الأمريكية ((US Department of Education يتيح التعلم القائم على الكفايات أو التعلم الشخصي الانتقال من مستوى لآخر بغض النظر عن وقت المقعد، وذلك لصالح الهيكل الذي يخلق المرونة للطلاب في التقدم من خلال ما يظهرونه من إتقان للمحتوى الأكاديمي بغض النظر عن الوقت أو المكان. وتوفر الاستراتيجيات القائمة على الكفاءة مرونة في الطريقة التي يمكن بها منح الاعتماد، وتوفر للطلاب فرص تعلم شخصية.

وفي تقرير للمعهد الوطني الأمريكي لتقييم نتائج التعلم أورد كلاين كولينز (Klein-Collins, 2013) خمسة افتراضات مشتركة يقوم عليها نظام التعليم القائم على الكفايات:

- **الكفاءات:** في القرن الـ 21، الشخص المتعلم هو الشخص الذي لا يعرف الكثير من المعلومات فحسب، بل يمكنه أيضًا استخدام هذه المعرفة.
- **الجودة:** تحديد الكفاءات المطلوبة للتخرج يساعد على ضمان جودة الخريجين. تتميز برامج التعليم القائم على الكفايات بتوضيح وتحديد ما يطلب من خريجيها معرفته والقدرة على القيام به للحصول على درجة علمية. وتعد عملية تحديد الكفاءات من أهم الخطوات في تطوير برنامج التعليم القائم على الكفايات.
- **التقييم:** هو جوهر برنامج التعليم القائم على الكفايات بأكمله؛ لأنه بخلاف معظم البرامج التقليدية القائمة على ساعة معتمدة، يجب على المؤسسة أن تثبت أن خريجيها قد أظهروا نتائج التعلم المطلوبة للحصول على درجة علمية. حيث يعتبر مقدار الوقت الذي يقضيه أعضاء هيئة التدريس أو الطلاب في أنشطة التعلم مقياسًا غير كافٍ لتعلم الطلاب، ويجب أن يقوم التقييم المعتمد على الكفاءة كلما كان ذلك ممكنًا بأكثر من مجرد قياس ما يعرفه الطالب، وينبغي أن يحدد أيضًا ما إذا كان بإمكان الطالب تطبيق ما يعرفه على برامج ومواقف الحياة الحقيقية.
- **التعلم:** يجب أن تركز البرامج على التعلم بدلًا من الوقت الذي تقضيه في أنشطة التعلم. تركز برامج CBE على النتائج -ما يعرفه الطالب وما يمكنه فعله-بدلاً من المدخلات مثل كيفية تعلم الطالب لها، أو المدة التي يستغرقها الطالب. ويتم تصميم بعض برامج CBE للسماح للطلاب بالتعلم في مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات، والاعتماد في بعض الأحيان على التعليم المفتوح الموارد بما في ذلك المواد المكتوبة، وأشرطة الفيديو، والمحاضرات المسجلة، وما إلى ذلك، أو التدريب العملي على التعلم القائم على المشاريع.
- **المحور-الطالب:** يجب أن "تناسب البرامج الطلاب أينما كانوا". تصمم برامج CBE تصميمًا جيدًا لتخصيص أنشطة التعلم لكل طالب وفقا لاحتياجاته. ويتم توجيه الطلاب الذين يحتاجون إلى مساعدة إضافية إلى وحدات تساعدهم على بناء تلك المهارات قبل الانتقال إلى أنشطة الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، تحسب معظم برامج CBE ما تعلمه الطلاب ويمكنهم فعله نتيجة للتجارب من خلال مصادر التعلم الأخرى. وهناك طريقة أخرى لتخصيص برامج CBE للطلاب من خلال تقديم أنشطة تعليمية في مجموعة متنوعة من الوسائط، يعكس هذا التنوع أن لدى الأشخاص أنماطًا مختلفة من التعلم، وأن وضع التعلم الذي يعمل بشكل جيد لطالب قد لا يعمل بشكل جيد مع طالب آخر. بالإضافة إلى ذلك، يتولى المعلم دور المدرب أو المرشد المسؤول عن كيفية تقدم الطالب من خلال المواد التعليمية والتقييمات.

التقييم في التعليم القائم على الكفايات

يكمنّ جوهر برامج التعليم القائمة على الكفايات CBE في تقييم ما يعرفه الطلاب بالفعل (Klein-Collins, 2013). ويتم تطوير النتائج السلوكية والتعليمية وربطها في هيكل التعلم الشامل، ويتضمن هذا الهيكل رسالة المؤسسة وأهدافها التعليمية إلى جانب أهداف البرامج الفردية وأهداف التعلم. ويعد التقييم أمرًا ضروريًا؛ من خلاله يمكن للمؤسسة تحديد وتطبيق السقالات التعليمية فيما يتعلق بالمهارات والقدرات والمعرفة ونتائج التعلم المحددة للطلاب (Garfolo & L'Huillier, 2016).

وبالرغم من أن التقييم الموثوق شرطًا أساسيًا وضروريًا، لكنه غير كاف لنجاح برنامج التعليم القائم على الكفايات. وبحسب مكلارتي وجايرتنر (McClarty & Gaertner,2015) يجب أن تنتج البرامج أيضًا طلابًا على استعداد جيدًا للنجاح المستقبلي حيث ينبغي لبرامج التعليم القائم على الكفايات:

- تحديد الكفاءات بوضوح.
- توفير صلة واضحة بين المهارات التي تقيسها التقييمات وتلك الكفاءات.
- إظهار أن سلوكيات الطلاب أو عمليات التفكير أثناء الاختبار تعكس الكفاءات.
- ربط الأداء في تقييمات الكفاءة بالتدابير الأخرى لنفس الكفاءات.
- توثيق العلاقة التجريبية بين درجات التقييم والنتائج المستقبلية (مثل النجاح في مكان العمل أو تحقيق كفاءة أكثر تقدماً). ويجب على مصممي البرامج العمل على توضيح الروابط بين المهام التي يكملها الطلاب في التقييم والكفاءات التي صممت لهذه المهام لقياسها. ويمكن أن تتخذ برامج CBE أشكالًا متنوعة، لكن معظم البرامج تتضمن عنصرين مشتركين: (أ) إطار الكفاءات، (ب) تقييمات الكفاءة. يصف إطار الكفاءات "المهارات والقدرات والمعارف اللازمة لأداء مهمة محددة". ويجب أن تكون الكفاءات محددة بوضوح وقابلة للقياس وذات صلة بالمعرفة أو المهارات اللازمة للمساعي المستقبلية.

الجهود البحثية ذات الصلة

أدى التبني السريع والواسع النطاق للتعليم القائم على الكفايات CBE لا سيما في مدارس الدراسات العليا والمهنية لتخريج طلاب مجهزين للاستجابة بقدرة عالية في عالم سريع التغير. التعليم القائم على الكفايات CBE فرض تغييرًا في المعتقدات التربوية المألوفة والمواقف والسلوكيات. لهذا هدفت المقالة لمساعدة أعضاء هيئة التدريس والطلاب والمسؤولين والمنظمين وأرباب العمل لفهم المفاهيم الأساسية المطلوبة لتفعيل المناهج القائمة على الكفايات والنظر في نقاط القوة والضعف في التعليم القائم على أساس الكفايات CBE، وتقديم مجموعة من الاستراتيجيات لمعالجة أوجه القصور في التعليم القائم على الكفايات CBE. وبعد تحليل للجوانب العملية لتنفيذ التعليم القائم على الكفاءة شملت: التوقعات المرجوة والقيود المفاهيمية للتعليم القائم على الكفايات، وتقييم وإدارة التصميم التعليمي القائم على الكفايات، والتغييرات المطلوبة في الإدارة لتنفيذه، ذكر المؤلفان أنه وعلى الرغم من القيود المفاهيمية (قياس التعليم القائم على الكفاءة النتائج الملحوظة فقط ، متجاهلاً الصلات المعقدة عبر الفكر والأداء والسياق والنتائج الملحوظة) والقيود التنفيذية (نقص تدريب أعضاء هيئة التدريس ، ونقص المرونة المؤسسية، والفجوة الكبيرة بين تبني مفهوم التعليم القائم على الكفايات CBE وتحقيق التطبيقات الوظيفية والنتائج المرجوة). يتم توجيه التعليم القائم على الكفايات CBE نحو الهدف المشترك وهو تحسين الأداء العملي من خلال تزويد الخريجين بكفاءات النتائج ذات الصلة.

ويتطلب تحقيق هذا الهدف قيام المؤسسة التربوية بتطوير مجموعة من المعارف والمهارات التي لا تكون عادة جزءًا من هيئة التدريس أو الإعداد الإداري في التعليم العالي. وسيكون تطبيق التعليم القائم على الكفايات CBE بمثابة تعطيل كبير لمعظم البرامج التعليمية الحالية وأعضاء هيئة التدريس والموظفين والمتعلمين والمقيمين والمسؤولين. حيث ينبغي في البداية معالجة النفور من هذا الخروج الجذري لإجراءات التشغيل الحالية قبل أن يتحقق النموذج الأصلي القائم على الكفايات. ويتطلب هذا التطور تحديد الأهداف الشخصية والتقييم الذاتي للمعلمين والمتعلمين والإداريين. فيما يتعلق بمتطلبات برامج التعليم القائمة على الكفايات CBE، فإن المشاركة في نتائج البحوث العملية والتدريس وحقائب التعلم ستكون مفيدة وكذلك التدريب والدعم لإدارة الوقت وتحديد الأولويات ومعايير الأداء. هذه التقنيات يمكن أن تساعد المشاركين على تحقيق هدفهم المشترك لجعل التعليم القائم على الكفايات CBE ذو فعالية لأغراضهم الفردية والجماعية (Curry & Docherty, 2017).

وللاستجابة للاحتياجات الناشئة للتحول لنظام تعليمي قائم على الكفايات CBE، حددت وزارة التعليم الأمريكية برنامج التقييم المباشر في 19 مارس 2013 وقدمت مبادئ توجيهية لمؤسسات التعليم العالي التي خططت للحصول على الموافقة على تقديم برامج CBE التي تفي بلوائح التقييم المباشر. ومع ذلك، لا يزال تطوير برامج قائمة على الكفايات CBE يتحدى أعضاء هيئة التدريس والموظفين والإداريين، وهناك حاجة لتحويل التركيز البحثي من البيئة التنظيمية للتعليم القائم على الكفاء إلى العملية التشغيلية لبرامج التعليم القائم على الكفايات. وتم تصميم هذا البحث لدراسة التطورات الحديثة لحركة التعليم القائم على الكفايات CBE في الولايات المتحدة من خلال عدسة التصميم التعليمي وتحديد دور التصميم التعليمي في برامج CBE. تم استخدام البحث النوعي لتقديم منظور مختلف في ثلاثة مواقع بحثية مختارة. حاول الباحث الحفاظ على تفرد كل حالة على حدة وتقديم تحليل للقضايا لإثراء معرفة كلّ من القراء والباحثين بحركة التعليم القائم على الكفايات CBE في الولايات المتحدة. كشفت نتائج الدراسة، أنه لا يزال دور التصميم التعليمي في برامج CBE والدور الذي يسهم به مصممو التعليم القائم على الكفايات CBE يختلف باختلاف البيئات والسياقات المؤسسية، وبالتالي تم التعرف على مصادر متعددة للتعلم في برامج CBE، وكانت الروابط القوية بين الاحتياجات الصناعية ومناهج التعليم القائم على الكفايات CBE واضحة في ممارسات التصميم التعليمي لـ CBE. وأظهرت النتائج أنه ينبغي تكييف البرامج المستقبلية للتعليم القائم على الكفايات CBE بحيث: (أ) يتم تضمين موظفي التصميم التعليمي أو فرق العمل في التخطيط العالي المستوى وفي عملية صنع القرار. (ب) إعداد الطلاب لاحتياجات القوى العاملة. (ج) ضمان الدعم القوي للطلاب بحيث يتم الاحتفاظ بهم في برامج CBE أو البرامج التقليدية (Fu, 2016).

وللتعرف على أفضل الممارسات في تطبيق التعليم القائم على الكفاءة في مؤسسات التعليم العالي، كان الغرض من هذه الدراسة النوعية هو استكشاف تطبيق التعليم القائم على الكفاءة في مؤسسات التعليم العالي، وكيف نجحت هذه المؤسسات في تنفيذ نموذج جديد في هياكلها الحالية. واستكشاف الأساس المنطقي، واستراتيجيات التنفيذ، والتحديات في المؤسسات المشاركة في التعليم القائم على الكفاءة.أجريت المقابلات مع عشرة من المهنيين الذين شغلوا مناصب إدارية و/أو تدريسه.

بعد إجراء معالجة شاملة للبيانات، وجد عدم وجود توافق في الآراء بشأن أفضل الممارسات واستراتيجيات التنفيذ للمؤسسات. وتم تحليل أفضل الممارسات في المؤسسات التي شاركت في الدراسة مقارنة بمبادئ John-stone و2014) Soares) لتطوير برامج التعليم القائم على الكفاءة وكذلك من خلال عدسة شبكة التعليم القائم على الكفاءة (C-BEN)، والتصميم المشترك للعناصر والممارسات المقترحة لبرامج التعليم القائم على الكفاءة (2015). وتم تحليل الاستراتيجيات المعمول بها لتنفيذ هذا التغيير في المؤسسات من خلال نموذج جون كوتر (1985) المكون من ثمان خطوات لتنفيذ التغيير. وبناءً على ذلك، أضافت الدراسة نتائج جديدة لهذا المجال. وجد أن الأسس المنطقية والاستراتيجيات والبرامج في المؤسسات التي شاركت في هذا البحث تختلف عن بعضها، على الرغم من وجود بعض أوجه التشابه، فمن الواضح أنه يجب على المؤسسات فحص مبررات محددة لتنفيذ برامج CBE، وكيف يتلاءم التعليم القائم على الكفايات CBE مع الخطط الاستراتيجية العامة ومهام المؤسسة. وأعرب بعض المشاركين على أن التحول لنظام التعليم القائم على الكفايات لن يكون بالأمر السهل، ولكن التحديات تستحق العناء عند الاستثمار في برامج CBE. وكشفت الدراسة مجموعة من النتائج والتوصيات والتي ستكون مفيدة للمؤسسات التي تتطلع إلى تنفيذ برامج التعليم القائم على الكفايات منها: (أ) ضمان الدعم (المالي الموارد والوقت) من الإدارة العليا. (ب) إشراك وتدريب أعضاء هيئة التدريس والموظفين (Kellogg, 2018).

وللتعرف على كيفية تصميم الدورات التدريبية القائمة على الكفايات وتنفيذها في بيئة أكاديمية تقليدية. تم إجراء دراسة حالة لدورة دراسية قائمة على الكفايات والتي أجريت في جامعة صغيرة خاصة وتقليدية. تم تقديم قسمين للبرنامج على مستوى الكفاءة، أحدهما عبر الإنترنت والآخر في الفصل. أكمل 11 طالبًا جامعيًا عبر الإنترنت، وأكمل 24 طالبًا الدورة في الفصل. بالنسبة لكلا القسمين، صممت الدورات التدريبية بما في ذلك مخرجات التعلم، ومشاريع المقرر، وواجبات الصف، والأساليب التعليمية، وانعكاسات كل من الطالب والمدرب على نتائج التعلم. وجد الباحثين أن التعليم القائم على الكفاءة هو أداة تعليمية فعالة لتعلم الطلاب. بالنسبة للمدربين يعد البدء بأهداف التعلم من أفضل الممارسات التي تعد مركزًا للتعليم القائم على الكفايات وتظل في طليعة تصميم الدورة التعليمية والتدريس وتقييم عمل الطلاب وتقييم الدورة التدريبية. واكتسب الطلاب المزيد من الملكية لتعلمهم، ووجدوا أن التعلم يمكن أن ينتقل إلى مجالات أخرى ويمكن أن يكون ذا صلة كبيرة في شكل مشاريع تستند إلى تطبيق واقعي مع نتائج نهائية محددة بوضوح. ومن خلال تدريس هذه الدورة. استخلص الباحثين مجموعة من التوصيات المستندة إلى تعليقات الطلاب والمدربين:

- **التوجيه الشخصي للتعليم القائم على الكفايات:** كافح الطلاب لفهم نموذج CBE في الأسابيع الأولى من الدورة، لذلك، فإن التوجيه ومناقشة وتوضيح نموذج التعليم القائم على الكفايات من خلال اجتماعات شخصية مع المدربين وبدعم من زملائهم. سيمكن الطلاب من التكيف مع النموذج.
- **المشاريع كأدوات لإتقان الكفاءات:** نجحت المشروعات في إشراك الطلاب كمنصة لاكتساب المهارات والمعرفة والقدرات، وقد أبلغ الطلاب بتوقعاتهم باستخدامها في الدراسة وأماكن العمل في المستقبل.
- **قابلية التطبيق على التخصصات الأخرى:** العديد من التخصصات ليس لديها مبادئ توجيهية رسمية. في هذه الحالة، يتم استخراج أهداف التعلم من المنهج، وباستخدام هذه الأهداف كنقطة بداية واستشارة متخصصي التقييم حول تحديد وقياس مخرجات التعلم. أخيرًا، وضعت دراسة الحالة مجموعة من الموضوعات البحثية المستقبلية شملت تصورات الطلاب لعملية التعلم ومواقف أعضاء هيئة التدريس تجاه التعليم القائم على الكفايات

ومقارنة التعليم القائم على الكفايات بالمنهجية التقليدية. و إجراء دراسات حول طرق تُسهل تأقلم الطلاب مع برامج CBE (Simonds, Behrens,& Holzbauer,2017).

وقامت إحدى الجامعة أمريكية بتجربة برنامج قائم على الكفاءة كطريقة بديلة لطلابها للحصول على الاعتماد الجامعي، لأجل خدمة طلابها غير التقليديين أي؛ الطلاب في الكليات والجامعات الذين تتراوح أعمارهم عادةً من 24 عامًا أو أكبر، وعادةً ما يأجلون الالتحاق بالجامعة ويحضرون بدوام جزئي ويعملون بدوام كامل. كان الغرض من هذه الدراسة المختلطة الأساليب هو إجراء تقييم تلخيصي للبرنامج لتحديد ما إذا كان البرنامج ناجحًا من أجل اتخاذ قرارات بشأن مراجعة البرنامج وتوسيعه. شارك في البرنامج التجريبي 60 طالبًا يدرسون 12 مقررًا مختلفًا خلال ثلاثة فصول دراسية. واستكشفت أسئلة البحث النوعية تصورات الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والمستشارين فيما يتعلق بالبرنامج من خلال المقابلات الفردية واستطلاعات الطلاب. أظهرت النتائج الكمية أن معدل إتمام البرنامج كان بنسبة ٪83، وكانت نسبة النجاح ٪60. وكشفت النتائج النوعية عن خمسة ركائز تُعد أهم عوامل لنجاح الطلاب هي: الدافع الذاتي، والخبرة المهنية، وتحقيق بعض الكفاءات، ودعم الطلاب من قبل أعضاء هيئة التدريس، والتفاعلات بين الطلاب. وتنطوي هذه الدراسة على إمكانية زيادة البحث المتنامي حول التعليم القائم على الكفاءة، والذي يمكن أن يؤثر في النهاية على التغيير الاجتماعي من خلال نقل التعليم العالي إلى نماذج تقديم بديلة أكثر إبداعًا يمكن أن تخدم احتياجات الطلاب غير التقليديين بشكل أفضل (DiGiacomo,2017).

تجربة الولايات المتحدة في التحول لنظام التعليم القائم على الكفايات

(ولاية نيو هامبشاير New Hampshire نموذجًا)

في عام 2005م، قررت ولاية نيو هامبشاير New Hampshire استبدال الاعتماد على وحدة كارنجي Carneg-ie (الاستناد إلى وقت الجلوس لقياس التحصيل العلمي)، باعتماد تعليم قائم على الكفاءة. تم تكليف المناطق التعليمية بتكوين الكفاءات ومنح الاعتماد في المدارس الثانوية بناءً على تلك الكفاءات. وفي عام 2013م اتخذوا خطوة أخرى إلى الأمام، حين قاموا بمراجعة المعايير الدنيا للمدارس لتصميم هياكل المدارس نظام (K-12) للوصول إلى نظام الكفاءة بدلًا من السماح لهم بالمرور دون معالجة الفجوات وجوانب الضعف لديهم. كانت حركتهم الأكثر جرأة هي الإيمان بعمق بمعلميهم وقدرتهم على إنشاء نظام للتقييمات والقائمة على الأداء مما فتح الباب أمام طريقة جديدة للمساءلة. وعندما قامت نيو هامبشاير بتحديث المعايير الدنيا، طالبوا المناطق بما يلي:

- إنشاء ودعم فرص التعلم الممتدة خارج مبنى المدرسة وخارج اليوم المدرسي المعتاد.
- توفير فرص التعلم لتمكين الطلاب لتحقيق كفاءات التخرج في المنطقة.
- السماح للطلاب لإثبات تحقيق كفاءات إضافية تتماشى مع اهتمامات الطلاب في المقررات الاختيارية، ودورات التعليم المهني والتقني (Chris,2017)

وبدأت خطة توسيع نطاق التعليم القائم على الكفايات من خلال الإجابة على السؤال: ما الذي يجب أن يكون صحيحًا في نيو هامبشاير لإعداد جميع طلابنا للمستقبل المعقد الذي ينتظرهم؟ وكان المخطط الناتج هو إجابتهم عن هذا السؤال. كان تصورهم عن النظام التعليمي على مستوى الولاية أكثر تخصيصًا ويدمج الخبرات التعليمية بسلاسة ويوفر للطلاب ما يحتاجون إليه كمتعلمين فرديين. هذا ما يعني تقدم قائم على الكفاءة لكل طفل مخصص لاحتياجاته ونقاط قوته. ولتسريع عملهم بنوا على نقاط القوة لديهم.

وعملوا على الكشف عن الفجوات التي لديهم والاعتراف بها في المخطط. نتج عن هذا التحليل للقوى والثغرات سبعة شروط أساسية يعتقدون أنها قد تحول دون نجاح التحول للتعليم القائم على الكفايات. وتشمل هذه الشروط: القيادة، الاستعداد، الإرادة العامة، السياسة العامة، المصادر، البنية التحتية للبيانات، أجندة التعلم. ضِمن كل شرط وصفوا الأساس المنطقي للعمل بها والأنشطة الرئيسية والنتائج القابلة للقياس. واعترفوا بأن التغيير كان صعبًا؛ لأنه يشمل الأشخاص والأفكار والسياسات والتقاليد والقيم. مع ذلك، استمروا في المضي قُدمًا إلى المستقبل بناءً على خطتهم الخاصة لتحقيق التقدم الذي يحتاجونه للتحول الذي يسعون إليه (New Hampshire Department of Education).

لماذا التحول للتعليم القائم على الكفايات؟

في تقرير صادر من مركز التميز في التعلم والتعليم (2018)، تناول التقرير تجارب أربعة دول عالمية في تحولها لنظام التعليم القائم على الكفايات وهي كندا وسنغافورة وأستراليا وولاية نيوهاشمير في الولايات المتحدة الامريكية، وبحسب التقرير يأتي هذا التحول كإدراك متزايد بأن الممارسات التعليمية تحتاج إلى التغيير للتركيز بفعالية على المتعلم في التعليم. وتنوعت دوافع التحول، ما بين إدراك لبعض الدول ضرورة الاستثمار في الأفراد من أجل زيادة الفاعلية والإنتاجية، لاسيما وأن المستقبل بحاجة إلى أفراد يمتلكون مهارات تختلف عن المهارات في نظام التعليم الأساسي بما في ذلك مهارات القران الحادي والعشرين. واختلاف متطلبات النجاح في العصر التقني عن مطالبات العصر الحالي. إضافة إلى ذلك، حدثت تلك التحولات تلبيةً إلى الحاجة للتعلم الشخصي المتوافق مع التنوع في قدرات وحاجات ورغبات الطلاب وسرعتهم الذاتية وتوفير أدوات تقييم فعالة لتلبية تلك الاحتياجات. ومع التحديات التي فرضتها العولمة أصبح هناك حاجة إلى إدخال مهارات التفكير وحل المشكلات والتواصل والبحث وتوليد المعرفة والتعلم مدى الحياة في النظام التعليمي لتخريج طلاب للمهام والوظائف المستقبلية وللمنافسة العالمية. كما أن للتطور الرقمي المتسارع ودوره في الحياة والتحول إلى اقتصاد يقوم على التقنيات عنصران هامان في للتفكير للتحول لنظام تعليمي القائم على الكفايات.

علاوة على التطور الرقمي يتيح التعليم القائم على الكفايات CBE تنوعًا في وسائل تقديم المعلومات والتقويم حسب أسلوب التعلم للمتعلم، والتنوع في أدوات الاتصال بين المتعلمين أو بين المتعلم والمعلم مما يتيح التحرر من قيود المكان والزمان. ونظرًا لأن العديد من برامج CBE مرتبطة بالإنترنت، يتم إلغاء العديد من تكاليف التشغيل التقليدية مما يؤدي إلى انخفاض فاتورة التعليم، وتقديم تحليلات أفضل لأداء الطلاب؛ لأن مستويات الكفاءة والتقييمات تكون عادةً عبر الإنترنت ويمكن أن تولد بيانات مستمرة ومفصلة (Garfolo & L'Huillier, 2016). وتتميز البرامج المستندة إلى الكفاءة باستغلال الخبرة التعليمية السابقة لتلبية الكفاءات، و بتحكم الطلاب في مدى بطئهم أو إكمالهم لبرنامج دراستهم حسب إتقان كل كفاءة، مما يسمح لهم بالتحرك حسب وتيرتهم الخاصة (Ordonez, 2014). وهذا ما يدعم المتعلمين من ذوي القدرات العالية، الذين يتسمون بالنضج العقلي المبكر مقارنة بمن هم في مثل عمرهم، مما يزيد من حاجتهم إلى نظام تربوي يختلف عن النظام التربوي الموجود والذي بني على أساس ذوي القدرات المتوسطة وذلك مراعاة لفروقهم الفردية وتمكينهم من التقدم في السلم التعليمي؛ لتلبية احتياجاتهم وقدراتهم واهتماماتهم واستعداداتهم المتباينة. بالإضافة إلى الاستثمار الأمثل للمواهب والقدرات المتوفرة لديهم بشكل أمثل .

ويعتبر نظام التسريع (والذي يسمح للطالب الموهوب باجتياز المرحلة أو المراحل الدراسية في فترة زمنية أقصر مما يستغرقه الطالب العادي بغض النظر عن مستواهم العُمري) خيارًا معهودًا في ميدان رعاية الموهبين لتلبية تلك الاحتياجات على الرغم من بعض الإشكاليات التي تواجه النظام والتي يكمن لنظام التعليم القائم على الكفايات معالجتها والتغلب على سلبياتها بما في ذلك الفجوة المعرفية وتبعات الانتقال الأكاديمي على النضج النفسي والاجتماعي وتقبل الأقران وهو ما يجعله النهج الأمثل لتلبية تلك الاختلافات. ومن خلال نظام التعليم القائم على الكفايات يتمكن الطلاب الموهوبين من إنهاء تقييمات الكفاءة والبدء بكفايات أخرى دون انتظار بدء فصل دراسي جديد.

وتشير كروس وشروث(Cross & Schroth, 2016) إلى مجموعة من الاعتبارات التي ينبغي مراعاتها ليكون التعليم القائم على الكفايات خيارًا جيدًا للموهوبين:

- الدروس التي يجب إتقانها متقدمة بدرجة كافية لتحدي المفكرين رفيعي المستوى.
- معلمون قادرون على دعم تعلم الطلاب في جميع المستويات.
- يُدعم البرنامج من قبل جميع أصحاب المصلحة، بما في ذلك المعلمين والموظفين والمسؤولين والمدرسة المجالس، والآباء، وأعضاء المجتمع.
- تدريب المعلمين على تقييم المستوى الرفيع بشكل مناسب.
- الطلاب قادرون على التحرك من خلال المعايير في جميع المواضيع بوتيرة مناسبة.
- إتاحة الفرصة للطلاب لاستكشاف الموضوعات (مواصلة التعلم) بعد أن حققوا إتقان المعايير ذات الصلة.
- العمر ليس عائقًا أمام التقدم.

وبالرغم من مزايا التعليم القائم على الكفايات، ذكر جارفولو ولويلير
(Garfolo & L'Huillier, 2016)**مجموعة من الانتقادات التي تواجه التعليم القائم على الكفايات أبرزها:**

- الارتباك حول ما إذا كانت الكفاءة هي سمة شخصية أو فعل أو نتيجة فعل.
- لا توجد سلطة واحدة لتحديد تعريف ثابت لأي "كفاءة" معينة.
- يركز التعليم القائم على الكفايات بشكل عام على النتائج العملية المحددة بدلاً من التركيز على العملية التعليمية ككل.
- نظرًا لأن التعليم الذي يقدمه التعليم القائم على الكفايات (كفاءات فردية)، إلا أن الكفاءة في كثير من الأحيان تتطلب القدرة على العمل كعضو في فريق.

بالإضافة إلى ذلك، الافتقار إلى العلاقة الشخصية المباشرة التي يتم تطويرها في فصل دراسي وجهًا لوجه إذا طبق النظام عبر الإنترنت (Ordonez, 2014). وهناك مجموعة من المعوقات التي قد تحول دون التطبيق الأمثل لنظام التعليم القائم على الكفايات كعدم اقتناع المعلمين وأولياء الأمور بنظام التعليم القائم على الكفايات وتخوف بعض المعلمين من التقليل من دورهم في العملية التعليمية. وتختلف المعوقات حسب طبيعة كل نظام تربوي والمرحلة الدراسية وحسب توفر الموارد والإمكانيات والبنية التحتية لتحول لنظام تعليمي قائم على الكفايات. ومن خلال الإرادة والإدارة الجيدة للنظام وإشراك جميع الجهات المعنية يمكن تلافي مثل هذه المعوقات.

تعقيب ختامي

مفتاح نجاح التعليم القائم على الكفايات (تعريف الكفاءة وتقويمها). وينبغي عند التحول لنظام تعليمي قائم على الكفايات تحديد الكفايات المعرفية والمهارية والوجدانية لكل مرحلة دراسية وإدارتها ومواءمتها مع موارد التعليم ونماذج التقييم. وربط التعليم القائم على الكفايات بالمسارات المهنية وذلك بالشراكة مع القطاعات المعنية بما يتناسب مع مقتضيات العصر والتوجهات المستقبلية لسوق العمل. ومثلما تحتاج العملية التعليمية إلى ثلاثة فئات من التقييمات (تشخيصي، تتبعي، نهائي) لتحسينها وتطويرها. تتطلب تجربة التحول للتعليم القائم على الكفايات إلى هذا الفئات:

التقييم القبلي-التشخيصي: لرسم ملامح الخطط الاستراتيجية والتشغيلية، ينبغي إجراء تحليل للميدان (القطاعات المعنية، الأدوار والمسؤوليات، البنية التحتية، الموارد والإمكانيات) للتعرف على مدى توافر متطلبات التحول، وما نريد أن نصل إليه (على سبيل المثال، تجربة ولاية نيوهامشير). ودراسة وتحليل تجارب الدول التي تحولت لنظام تعليمي قائم على الكفايات (على سبيل المثال، تقرير مركز التميز في التعلم والتعليم نموذجًا) للاستفادة من التجارب والبدء من حيث انتهت تلك الدول، والاستفادة من نتائج البحوث ذات الصلة. إضافةً إلى إعادة تصميم برامج التطوير المهني للمعلمين، والمحتوى والمناهج التعليمية، وطرق التدريس والتقييم لتتلاءم مع نظام الكفايات.

التقييم التكويني-التتبعي: بعد البدء في تطبيق التجربة، ينبغي رصد تجربة التحول؛ لتحديد جوانب القصور وتلافيها واتخاذ ما يلزم من أساليب المعالجة، وتدعيم جوانب القوة واقتراح سبل ووسائل تحسينها، وإعطاء تصور للجوانب التي تحتاج إلى اهتمام أكثر من غيرها. لتوجيه التجربة في الاتجاه المرغوب فيه والتعرف على مدى التقدم، والعمل على الاستفادة من النتائج الأولية في تحسين تجربة التحول. وللتجربة، قد يكون من المناسب التطبيق الجزئي للنظام وليكن كبديلًا لنظام التسريع مثلًا، بهدف إجراء دراسات ميدانية تتبعيه لاستطلاع واستقصاء آراء المعلمين والمتعلمين والقائمين على العملية التعليمية حول أثر النظام والصعوبات والعوائق التي تحول دون تطبيق نظام التعليم القائم على الكفايات بالشكل الأمثل. وتوجيه الباحثين لإجراء دراسات حول تجربة التحول لنظام تعليمي قائم على الكفايات ومدى فاعليته؛ لافتقار المكتبة العربية لمثل هذا النوع من الدراسات.

التقييم النهائي: الحكم على مدى فعّالية تجربة التحول لنظام الكفايات والسياسات التربوية المعمول بها، بغرض الحصول على تغذية راجعة تساعد في تطوير وتحسين التحول للنظام التعليم القائم على الكفايات. من خلال إجراء مقارنات بين نظاميّ التعليم (التقليدي والكفايات) للتعرف على أثر ونتائج التجربة. ومما قد يجود عملية التقييم، التوسع في دمج تكنولوجيا المعلومات في النظام التعليمي والتدريب عليها لإكساب الطلاب مهارات التعامل مع التقنيات الحديثة والتي بدورها تنتج بيانات ضخمة. ومن خلال جمع وتحليل تلك البيانات يكمن الاستفادة منها في تصميم البرامج وتنفيذها وتقييم فاعلية وأثر تجربة التحول.

أخيرًا، لا تخلو التحولات من المعوقات والتحديات، ولكن التحديات تستحق العناء عندما يتعلق الأمر بمسألة التعليم ومستقبل الأجيال. مستقبل يتطلب منّا إعادة النظر في ممارسات التعليم الحالية وما ستنتجه لنا خلال الأعوام القادمة، لاسيما مع التحولات المتسارعة للعصر الحالي.

طالبة ماجستير بقسم التربية الخاصة , مسار الموهبة والتفوق , كلية التربية – جامعة القصيم

المراجع

مركز التميز في التعلم والتعليم (2018)، تجارب دولية في التعليم القائم على الكفايات. تم الاسترجاع من موقع https://celt.ksu.edu.sa/ar/node/1371

Cross, J. R., & Schroth, S. (2016). Mastery-Based Learning: Is it Good for Gifted Learners?. Parenting for High Potential, 6(1), 6.

Curry, L., & Docherty, M. (2017). Implementing Competency-Based Education. Collected Essays on Learning and Teaching, 10, 61-73.

DiGiacomo, K. (2017). Program Evaluation of a Competency-Based Online Model in Higher Education.

Fu, I. (2016). The role of instructional design in competency-based education in the United States: A qualitative inquiry in three higher education institutions.

Garfolo, B. T., & L'Huillier, B. (2016). Competency based education (CBE): Baby steps for the United States. Academy of Business Research Journal, 1, 100.

Kellogg, S. E. (2018). Competency Based Education: Best Practices and Implementation Strategies for Institutions of Higher Education. ProQuest LLC.

Klein-Collins, R. (2013). Sharpening our focus on learning: The rise of competency-based approaches to degree completion. Occasional Paper, 20.

McClarty, K. L., & Gaertner, M. N. (2015). Measuring Mastery: Best Practices for Assessment in Competency-Based Education. AEI Series on Competency-Based Higher Education. American Enterprise Institute for Public Policy Research.

Ordonez, B. (2014). Competency-Based education: Changing the traditional college degree power, policy, and practice. New Horizons in Adult Education and Human Resource Development, 26(4), 47-53.

Simonds, J., Behrens, E., & Holzbauer, J. (2017). Competency-Based Education in a Traditional Higher Education Setting: A Case Study of an Introduction to Psychology Course. International Journal of Teaching and Learning in Higher Education, 29(2), 412-428.

المواقع الإلكترونية

Chris, Sturgis (2017), New Hampshire: Building an Integrated Competency-Based System " Competency Works. Retrieved from https://www.competencyworks.org/resources/new-hampshire-building-an-integrated-competency-based-system/

New Hampshire Department of Education. Retrieved from https://www.education.nh.gov/vision.htm

US Department of Education. Retrieved from https://www.ed.gov/oii-news/competency-based-learning-or-personalized-learning

The Glossary of Education Reform (2016), Proficiency-Based Learning Definition. Retrieved from https://www.edglossary.org/proficiency-based-learning/